

لاهوت التنمية

للمطران غريغوار حدّاد

مقدمة

"اللاهوت" و"التنمية" كلمتان لا تلتقيان عادة.

فاللاهوت مضمونه عن الله وجوهره، وذاته، وصفاته، وأعماله.
والتنمية مضمونها عن الإنسان والمجتمع والعالم وشؤونهم المختلفة.

فكيف يلتقيان في عنوان هذا الحديث المطلوب في هذه الندوة؟

يلتقيان لأنّ الله والإنسان والمجتمع والعالم في لقاء دائم وتفاعل دائم. وكما أنّه ليس من شأن إنسانيّ غريب عن الإنسان، فهو ليس بغريب عن الله "فلقد أحبّ الله العالم حتّى إنّه بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبويّة" (يوحنا 3:16).
ولاكتشاف هذا اللقاء الحتمي وأبعاده، لا بدّ من البدء بفهم الكلمتين.

النمو والإنماء

هناك أربع ألفاظ تستعمل عادة وكأئها مترادفة، ومن الضروري التمييز بينها:

"النمو" و"الإنماء"، بالمعنى الواحد، وهما صيغتان تصنّفان في الصرف مشتقّتين من "فعل لازم": "نما ينمو، نماه ونمواً". ليس لهما مفعول به.

و"الإنماء" و"التنمية"، بالمعنى الواحد أيضاً، وهما صيغتان تصنّفان مشتقّتين من "فعلين متقدّمين إلى مفعول به" "أنمي، يُنمي، إنماء"، "ونمّي، يُنمّي، تنمية".

وهذه الألفاظ لا تُطلق إلا على ما هو حيّ: الإنسان، المجتمع الإنساني، الجماعات الإنسانيّة...

والحيوان والنبات. فلا يُقال: "البناء ينمو"، بل "يرتفع".

"فالنمو أو الإنماء" عملية عفويّة، طبيعيّة، بدون تدخّل خارجي.

قال يسوع: "مَثَل ملكوت الله كمَثَل إنسان ألقى الزرع في الأرض. فسواءً أنام أو استيقظ، في الليل أو

في النهار، الزرع ينبت وينمو، ولا يدري كيف. فالأرض من ذاتها تثمر، تخرج الساق أولاً، ثم السنبلّة، ثم

الحنطة ملء السنبلّة، فإذا أدرك الثمر، أعمل فيه المنجل في الحال، لأنّ الحصاد قد حان " (مرقس 4: 26-

(29).

بينما "الإنباء أو التنمية" عملية إرادية تصدر عن الإنسان، الفرد، أو الجماعة، من أجل التسريع أو التصحيح في النمو، أكان للنبات، أو للحيوان، أو للإنسان، أو للجماعة، أو للمجتمع، الصغير أي العيلة أو البلدة مثلاً، أو الكبير، كالوطن كله.

ويقابل هاتين الكلمتين (المزدوجتين) في اللغات الأجنبية كلمة واحدة: développement بالفرنسية، و development بالإنكليزية، لأنّ هذه من جهة تميّز بين اللازم والمتعدّي، بين العفوي الطبيعي الداخلي، والإرادي التدخلي من الخارج. ومن جهة أخرى لا تعني اللفظة الأجنبية الحياة بل بروز أو تطوّر ما أكان خفيّاً أو ضعيفاً: فنُقال عن موضوع انطلاقاً من تصميمه، أو عن الصورة الشمسية "تظهيراً" للوجه السلبي.

كان من الأفضل استعمال كلمة croissance أو growth لأنها تعني الحياة ولا تستعمل إلا لما هو حيّ. ولكن هذه الكلمة استعملت في الغرب لتعني النمو الاقتصادي فقط، دون الاجتماعي والإنساني، لذلك صُرف النظر عن استعمالها.

ألفاظ قريبة لا مترادفة

هناك ألفاظ تستعمل كأنها مترادفة للنمو والإنباء، منها:

- "التطوّر": (évolution): الانتقال من طور إلى طور، قد يكون أفضل أو أسوأ،
- "التقدّم": (progrès): وضع قدم بعد قدم أخرى، أي الانتقال إلى الأمام،
- "الترقّي": (promotion): التحرك إلى الأمام، تستعمل خاصة في التجارة للدعاية والترويج.
- "الازدهار": (floraison): للتشبه بالنبات الذي يتطوّر بعد الورق إلى الزهر،
- "الاستثمار أو التثمين" (fructification): لإكمال صورة الثمرة بعد الزهرة،
- "الروحنة والإنعاش" (animation): أي وضع الروح أو الحياة في ما كان ميتاً أو في طور النزاع.

- "النهضة" (renaissance): إعادة الحياة لما كان في تدهور أو انحطاط، وقد استعملت هذه الكلمة في أوروبا عند الخروج من القرون الوسطى المتدهورة، وفي البلدان العربية عند الخروج من "عصر الانحطاط".

لذلك يجب التنبّه عند استعمال كلمتي "نمو وإنباء" إلى معنهما الحقيقي الذي يتطلّب شروطاً كثيرة

ليستقيم.

النمو كالحياة له ناموسه ونظامه

والنمو، كالحياة، له قانونه أو نظامه الداخلي، وكما يقال اليوم "برنامج": هو "مبرمج".

- فالإنسان له ثلاثة أبعاد:

جسدية،

ونفسية،

وروحية،

ولا بدّ، لكي ينمو بطريقة صحيحة، أن ينمو في أبعاده الثلاثة ونظامها، فإذا نقص أحدها لا يكتمل

إنسانياً. وإذا تضاعف نمو أحدها أصبح "متخلفاً"، كما أصبح يُقال اليوم عن:

- "البلدان المتخلفة" أو "الآخذة بالنمو"، أو "النامية" لنلا تجرح كرامة أهلها.

- "والمجتمعات المتخلفة" ضمن البلد الواحد، التي تسمّى لها أيضاً: "المحرومة"

- "والعقليات أو الذهنيات المتخلفة"، التي لم تواكب تطور المجتمع، أو القيم الإنسانية المتقدّمة.

والمجتمع الكوني له أبعاده أو حقوله المختلفة، وأهمها:

- الاجتماعية والاقتصادية

- والثقافية- الحضارية والمجتمعية

- والسياسية والبيئية

فيمكنه أن يكون متخلفاً في أحد هذه الحقول أو في أكثر من حقل. ويمكن أن يكون هناك تفاوت في

النمو.

والمجتمع الديني (الكنيسة - الأمة الإسلامية - الأبرشية - الرعية - الحوزة - الجامع...)

ينمو وفقاً لأبعاده المختلفة:

.العقيدية .الأخلاقية .القانونية

.الروحية .القيمية .العرفانية

.الطقسية .المؤسساتية الاجتماعي

.الرعاية الدينية .الرعاية المجتمعية

ويمكنه أن يكون متخلفاً في نموّه على بُعد واحد أو أكثر.

النمو الذاتي والعلاني

- كل نمو يمكنه أن يكتفي بالنمو الذاتي:

- الشخصي

- المجتمع المدني

- المجتمع الديني

ولكن يظلّ ناقصًا ومتخلفًا إذا لم تنمو علاقاته مع غيره:

- من الأشخاص

- من المجتمعات

هكذا تظهر عمليّة النمو واسعة الأطراف، ويمكنها:

- أن تتعثر وتتعرّس في أحد أبعادها لأسباب ذاتية

- أن تمنع من النمو لأسباب خارجيّة تريد منعها

تقنيات التنمية

في النصف الثاني من القرن العشرين كثّر الكلام عن التنمية:

- التنمية الاجتماعية – الاقتصادية – الإنسانية

- التنمية الشاملة المتكاملة – وأخيرًا التنمية المستدامة

- التنمية الريفية – التنمية المدنية...

وكثرت الأبحاث والدراسات، والكتب، والمؤتمرات

-وتطورات التقنيات – وخصّصت الأمم المتّحدة ثلاثة عقود

-وأخذت الدروس التقييمية تكتشف الصعوبات والثغرات

- ولا تزال التنمية في طور التنمية على صعيد:

- الفكر

- والتطبيق

ب- اللاهوت

المفردات

- الله، المطلق الذي له أسماء مختلفة في مختلف الديانات،

- الذي "ليس كمثل شيء"،

- الذي "لم يره أحد قط"،

- والذي لا تزال البشريّة تتحمّم لمعرفة أكبر وجلاء سرّه وأسراره،

- اللاهوت: هو تلك التّحتّمات، وهناك:

- اللاهوت العقيدي

- اللاهوت الأخلاقي التشريعي
- اللاهوت الروحي القيمي... وسائر الأبعاد.

- اللاهوت متنوع

- على صعيد الديانات المختلفة
- داخل كل ديانة
- من تنوعاته: اللاهوت الذي لا يهتم إلا بالروحيات والأخويات (orthodoxi)
- اللاهوت الذي لا يهتم إلا بتطبيق العقائد عملياً (orthopraxie)

- كان الغرب يتطور أكثر فأكثر نحو التطبيق العملي وينسى البعد العرفاني والصوفي.
- وكان الشرق يكتفي بالبعد العرفاني الروحي (آباء الصحراء – وآباء الكنيسة القدامى) عدا البعض منهم (كباسيليوس).

- وأخذ التفاعل يتم بين الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية.
- وأخذ الاهتمام بالمجتمع وقضايا الإنسان تحتل مكاناً كبيراً، يتزايد مع الزمن.
- ومن تطوراتها: - لاهوت التحرير

- لاهوت الرجاء

- لاهوت السياسة

- لاهوت التنمية.

لاهوت التنمية

- التنمية صفة للحياة، كما سبق القول.

- والحياة عكس:

- الموت، فقدان الحياة،

- والمادة، لا تنمو،

- والجمود، لا يتحرك،

- والفساد، يتحلل نحوها.

-فمن أين ينبع لاهوت التنمية؟

لاهوت التنمية ينبع من الإيمان:

- بالله الحي، الذي لا جمود فيه، ولا رتابة، ولا تردد... .
- بالإنسان الحي على مثال الله، الذي ينمو
- بالإنسان الجديد، الذي يتجدد في نموّه
- بالإنسان النامي، الذي ينتقل من حالة إلى حالة أسمى
- بالإنسان النامي في كل أبعاده الشخصية:
- الجسديّة
- النفسيّة
- الروحيّة
- بالإنسان النامي في علاقاته:
- مع الله
- مع الآخرين
- مع المجتمع ومؤسساته
- مع الطبيعة – مع البيئة
- بالإنسان الدائم النمو:
- في الحياة الأرضيّة (الدينونة)
- في الحياة السماوية (الأخروية)

ينابيعه الإنجيليّة:

مقدّمة

في الإنجيل وكل العهد الجديد، لا توجد تشريعات ولا تقنيّات تنظّم المجتمعات على صعيد السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة والبيئة ...

وقد ترك الربّ لتلاميذه أن يقوموا بهذه المهمة وفقًا لكل زمان ومكان.

هو أعطى مبادئ عامة ، على كل جيل أن يكتشف حاجاته، على جميع الصعد.

- هل المؤسسة الكنسية مؤهلة لكي تقدّم التصرّ والحلول في كل جيل؟ كلا

- هل المسيحيون مؤهلون أكثر من غيرهم؟ كلا

- هناك علم اجتماع وعلم اقتصاد وعلم سياسة.

- أكثر ما يمكن للمؤسسة الكنسية أن تقول:

- هذا العمل أو الإجراء أو القانون أو البرنامج العملي هو ضدّ الإنسان، القيمة المطلقة – المقياس –

المعيار لكل تنمية وكل تغيير.

-فما هي الآيات التي يمكنها أن تلقي أضواء وتساهم في تأهيل المسيحيين أن يشتركوا مع غيرهم في كل مجتمع وكل جيل من دون أن يمَسُوا بالإنسان.

بل تكون "لتنمية كل إنسان وكل إنسان" (الأب لبريه Lebre))

- قال بولس السادس في الأمم المتحدة سنة 1965:

" إنَّ الكنيسة خبيرة بالإنسان ". هذا القول يمكن فهمه خطأ: إنها خبيرة في العلوم الإنسانية بجميع تقنيَّاتها وتشريعاتها. وهذا لم يطلبه المسيح من كنيسته: "ملكوتي ليس من هذا العالم" (يوحنا 18:36).

بعض الآيات التي تحثّ على التنمية

"ولما أتمّوا كل ما يتعلّق بناموس الربّ، رجعوا إلى الجليل، إلى مدينتهم الناصرة. وكان الصبي ينمو ويتقوى، ويمتلئ من الحكمة. وكانت نعمة الله عليه". (لوقا 2: 39 و 40).

"ونزل (يسوع) معهما (مريم ويوسف)، وأتى الناصرة، وكان خاضعاً لهما. أمّا يسوع فكان ينمو في الحكمة والقامة والنعمة أمام الله والناس". (لوقا 2: 51 و 52).

"وضرب لهم مثلاً آخر، قائلاً: يشبه ملكوت السماوات حبة خردل، أخذ إنسان وزرعها في حقله. إنَّها أصغر البزور جميعاً. بيد أنّها، إذا نمت، تصير أكبر البقول جميعاً. ثم تصبح شجرة، حتّى إنّ طيور السماء تأتي وتعشش في أغصانها.
ثم قال لهم مثلاً آخر:

يشبه ملكوت السماوات خميرة أخذتها امرأة، وخبأتها في ثلاثة أكياسٍ من الدقيق، حتّى اختمر الجميع" (متى 13: 31-33).

وفي مثل الزارع يشرح المسيح قائلاً:

"والذي تلقى الزرع في الأرض الجيدة، فهو الذي يسمع الكلمة ويفهمها، فيثمر، ويعطي تارة مائة، وأخرى ستين وأخرى ثلاثين" (متى 13: 23).

"رجل مسافر دعا عبده ودفع إليهم ما له. فأعطى واحداً خمس وزنات، وآخر وزنيتين، وآخر وزنة. كلاً على قدر طاقته. وسافر. فمضى الذي أخذ الوزنات الخمس وتاجر بها وربح خمس وزنات أخرى وكذلك الذي أخذ الوزنتين ربح وزنيتين آخرين. وأما الذي أخذ الوزنة فإنه مضى وحفر في الأرض، ودفن فضة سيده.

وبعد زمن طويل، قدّم سيّد ألئك العبيد وحاسبهم.

فتقدّم الذي أخذ الوزنات الخمس، وقدم خمس وزنات أخرى، وقال: يا سيدي، خمسَ وزناتٍ دفعت إليّ. وهذه خمس وزنات أخرى قد ربحتها. فقال له سيده: نعماً أيها العبد الصالح الأمين، لقد كنت أميناً في القليل، فسأقيمك على الكثير؛ أدخل إلى فرح سيدك.

وتقدّم أيضاً الذي أخذ الوزنتين، وقال: يا سيدي، وزنتين دفعت إليّ. وهتان وزنتان أخريان قد ربحتهما. فقال له سيده: نعماً أيها العبد الصالح الأمين. لقد كنت أميناً في القليل، فسأقيمك على الكثير. أدخل إلى فرح سيدك... " (متى 25: 14-30).

"اثبتوا فيّ وأنا فيكم.

كما أن الغصن لا يستطيع من نفسه أن يأتي بثمر، إن هو لم يثبت في الكرمة، كذلك أنتم إن لم تثبتوا فيّ.

أنا الكرمة وأنتم الأغصان. من يثبت فيّ وأنا فيه، فهو يأتي بثمر كثير. فإنكم بدوني لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً...

إن تثبتم فيّ وثبت كلامي فيكم، تسألون ما شئتم فيكون لكم. بهذا يتمجدّ أبي، وتكونون تلاميذي، إذا أتيتم بثمر كثير." (يوحنا 15: 4-8).

" لستم أنتم اخترتموني، بل أنا اخترتكم، وأقمتمكم، لتذهبوا وتأتوا بثمر، وينبت ثمركم، لكي يعطيكم الآب جميع ما تسألونه باسمي.

فما أوصيكم به إذا هو أن يحبّ بعضكم بعضاً" (يوحنا 15: 16 و 17).

" كل امرئ يحصد ما قد زرع:

فالذي يزرع في جسده، يحصد من الجسد الفساد؛

والذي يزرع في الروح، يحصد من الروح الحياة الأبدية.

فلا نفشل في عمل الخير. فإنا سنحصد في الأوان إن لم كلّ فنحن إذا إلى الجميع، ما دامت لنا

الفرصة، ولا سيما إلى الذين هم شركاؤنا في الإيمان" (غلاطية 6: 7-10).

"وليجعلكم الرب تنمون وتفيضون في المحبة بعضكم لبعض وللجميع، كما نحن نحبكم. وليبق هكذا

قلوبكم بغير لوم في القداسة، لدى إلهنا وأبيننا، عند مجي ربنا يسوع المسيح مع جميع قديسيه " (تسالونيكي الأولى 3: 12 و 13).

"لا ننفك نصلّي لأجلكم ساتلين الله:

- أن تبلغوا إلى معرفة مشيئته معرفة كاملة، في كل حكمة وفهم روحي،

- فتسلخوا من تَمَّ على ما يليق بالرب، في ما يُرضيه،
- وتتمروا بكل عمل صالح،
- وتتموا في معرفة الله" ... (كولسي 1: 9 و10).

" كلموا كل واحد قريبه بالحق،
إذ إتنا أعضاء بعضنا لبعض " (أفسس 4 : 25).

" كونوا خاضعين بعضكم لبعض في مخافة المسيح" (أفسس 5 : 21).

" لستم بعد غرباء ولا نزلاء. بل أنتم مواطنو القديسين وأهل بيت الله.
أنتم أساسه الرسل والأنبياء (أنبياء العهد الجديد) ورأس الزاوية المسيح يسوع نفسه،
الذي فيه يُنسَق البناء كله، ويرتفع هيكلاً مقدساً في الرب. وفيه أيضاً تندمجون أنتم، في البناء،
لتصيروا مسكناً لله، في الروح" (أفسس 2 : 19-22).

بعض الآيات التي تضع حدوداً لاهوتية للتنمية

" لا تهتموا لأنفسكم بما تأكلون، ولا لأجسادكم بما تلبسون، فإن النفس أعظم من الطعام، والجسد
أعظم من اللباس..."

فلا تطلبوا، أنتم أيضاً ما تأكلون وما تشربون، ولا تقلقوا. فإن جميع هذه تطلبها أمم العالم، وأبوكم
يعلم أنكم في حاجة إليها.

فاطلبوا بالحرية ملكوته. وهذه كلها تزداد لكم...

بيعوا ما هو لكم وتصدقوا. اصنعوا لكم أكياساً لا تبلى، وكنزاً في السماوات لا ينفذ، حيث لا سارق
يقرب إليه، ولا غش يفسده لأنه حيث يكون كنزكم، هناك أيضاً يكون قلبكم" (لوقا 12 : 22-34).

"وقال يسوع لتلاميذه: من أراد أن يتبعني، فليفكر بنفسه، وليحمل صليبه ويتبعني. من أراد أن
يخلص نفسه أضاعها (أو أهلكها). ومن أضاع نفسه من أجلي وجدها. ماذا ينفع الإنسان أن يربح العالم كله
إذا خسر نفسه؟ أم ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه؟" (متى 16 : 24-26).

"من ذا أبلس؟ ومن ذا بولس؟ إنهما خادمان آمنتم على أيديهما. وكلّ منهما حَسَب ما أعطى له الرب. أنا غرست، وأبلس سقى. لكن الله قد أنمى. فليس الغارس بشيء، ولا الساقى بل الله الذي ينمي. الغارس والساقى كلاهما واحد. وكلّ منهما يأخذ أجرته بحسب تبعه. فإنا نحن عاملون مع الله. وأنتم حرف الله، بناء الله. أنا بحسب نعمة الله التي أوليتها، وضعت الأساس كبناءً حكيم. وآخر أن يضع أساساً آخر غير الموضوع، الذي هو يسوع المسيح" (1 كورنتس 3: 5-11).

"فلا يخدعن أحد نفسه!

إن حَسِب أحد منكم أنه حكيم في هذا الدهر، فليصر جاهلاً ليعدّ حكيمًا. فإن حكمة هذا العالم جهالة عند الله... فلا يفتخرن أحدٌ بالناس. لأن كل شيء هو لكم: بولس كان، أم أبلس، أم كيفا (بطرس)، أم العالم، أم الحياة، أو الموت، أم الحاضر، المستقبل. كل شيء، هو لكم، أما أنتم فللمسيح، والمسيح لله" (1 كورنتس 3: 18-23).

"أنتم بالنعمة مخلصون بواسطة الإيمان. وهذا الخلاص ليس منكم، بل هو عطية من الله وليس هو من الأعمال، لكي لا يفتخر أحد. أجل، نحن صنعه، إذ قد خلفنا في المسيح يسوع للأعمال الصالحة، التي أعدها الله، من قبل، لتسلك فيها". (أفسس 2: 8-10).

ضرورة الدراسة قبل العملية الاجتماعية الإنمائية

"من منكم يريد أن يبني برجًا، ولا يجلس أولاً، ويحسب النفقة، ويرى هل عنده ما ينجزه، خشية أن يضع الأساس، ثم يعجز عن الإتمام، فيأخذ جميع الناظرين يسخرون منه قائلين: هوذا رجل قد شرع في بناء ولم يستطع أن ينجزه. أو أي ملك يخرج لمحاربة ملك آخر، ولا يجلس أولاً ويشاور نفسه، هل يقدر أن يلاقي، بعشرة آلاف، من يأتي عليه بعشرين ألفاً؟ وإلا فيوفد إليه سفارة، وهو بعدُ بعيد، ويلتمس ما من أم الصلح. فكذلك كل واحد منكم، إن لم يزهّد في جميع أمواله، لا يستطيع أن يكون لي تلميذًا" (لوقا 14: 28-33).

هدف التنمية الأخيرة

"أحرّضكم أن تسلكوا مسلماً يليق بالدعوة، التي دعيتم إليها، بكل تواضع ووداعة وصبر. احتملوا بعضكم بعضاً بحمّة. اجتهدوا في أن تحفظوا وحدة الروح برباط السلام. فإن الجسد واحد، والروح واحد.

كما أنكم دُعيتُم إلى الرجاء الواحد؛ وإنَّ الربَّ واحد، والإيمان واحد، والمعمودية واحدة، والإله واحد للجميع، وهو فوق الجميع، وخلال الجميع، وفي الجميع... " وهو الذي أعطى أن يكون رسلاً، وبعضاً أنبياء، وبعضاً ميسرين، وبعضاً رعاة ومعلمين، منظماً هكذا القديسين لأجل عمل الخدمة، في سبيل بنيان المسيح،

إلى أن ننهي جميعاً إلى الوحدة في الإيمان، وفي معرفة ابن الله، إلى الإنسان البالغ،

إلى ملء اكتمال المسيح. ومن ثمَّ، فلا نكون بعدُ أطفال لا تتقاذفنا الأمواج، وتعبث بنا كل ربح تعليم، على هو من فكر الناس، وخبثهم في طرق التضليل. بل نعتصم بالحق في المحبة، فننمو من كل وجه نحو مَنْ هو الرأس، أي المسيح، الذي به ينال الجسد كلّه التنسيق والوحدة، ويتعاون جميع المفاصل، على حسب العمل المناسب لكل عضو، ينشئ لنفسه نحواً ويبني في المحبة". (أفسس 4: 1-16).

مثل على المساواة بين المؤمنين

"نعلمكم، أيها الإخوة بالنعمة التي مَنْ بها الله على كل كنائس مقدونية؛ فإن فرحهم قد فاض في ما امتحنوا به من الضيق الكثير. وفقرهم الشديد قد طُفح بغنى سخائهم. فإني أشهد أنهم أعطوا من تلقاء أنفسهم على قدر طاقتهم، بل فوق الطاقة، طالبين إلينا في إلحاح كثير نعمة الاشتراك في هذه الخدمة التي للقديسين (المسيحيين الذين في أورشليم)..."

وبما أنكم تفيضون في كل شيء: في الإيمان، والبلاغة، والعلم، والنشاط على كل وجه وفي محبتكم لنا، ينبغي أن تفيضوا أيضاً في هذا العمل الخيري..."

ولست أريد أن تكونوا أنتم على ضيق، لكي يكون غيركم في شفقة، بل أن تكون مساواة. ففي الحالة

الحاضرة ستسدُّ فضالتكم عوزهم، لكي تسدَّ يوماً فضالتهم عوزكم، فتحصل المساواة، على ما هو مكتوب:

"المكثر (من المسنّ) لم يفضل له، والمقلّ لم ينقص عنه" (خروج 16: 18) ...

فاعلموا أن مَنْ يزرع بالتقتير، بالتقتير أيضاً يحصد. ومن يزرع بالسخاء، فبالسخاء يحصد أيضاً. فليعط كلُّ

بحسب وحي قلبه، لا من كراهية أو اضطرار، لأنَّ الله يحبُّ المعطي المتهلِّل" (2 كورنثس 8: 1-14 و 9: 6 و 7).

"لا تتشبهوا بهذا العالم

بل تحولوا إلى صورة أخرى بتجديد عقلكم،

لكي يتهياً لكم أن تميزوا ما مشيئة الله، وما هو صالح، وما يُرضيه، وما هو كامل" (روما 12: 2).

"وينبغي لكم أن تخلعوا عنكم، في ما هو من أمر حياتكم السالفة، الإنسان العتيق الفاسد بشهوات الغرور، وأن تتجددوا في صميم أذهانكم، وأن تلبسوا الإنسان الجديد الذي خُلق على مثال الله، في البرّ وقداسة الحق" (أفسس 2: 22-24).

"ولا يكذب بعضكم بعضاً
إنكم قد خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله
ولبستم الإنسان الجديد، الذي يتجدد بالمعرفة على صورة خالقه
فليس بعدُ يوناني ولا يهودي
ولا ختان ولا قلف
ولا أعجمي ولا إسكوتي
ولا عبد ولا حرّ
بل المسيح هو كل شيء، وفي كل شيء" (كولسي 3: 9-11).

التنمية في الآخرة

إذا كان النموّ من صفات الحياة،
والانتقال من طور إلى آخر من حالة إلى أخرى، أفضل،
وعدم الجمود، يصبح الاستمرار في النموّ من متطلبات الإنسان والكنيسة.
يقول جان كيتون: " قبل المجمع الفاتيكاني الثاني، كانت القيمة في الجمود والاستمرار في الواقع
الراهن، أمّا بعده فقد أصبحت القيمة للتطور والتّغير الدائم، وأصبح هناك ضرورة ماسّة للتّغيير".
من صفات الله محبّته، و المحبّة، تفاعل دائم.
لذلك فالكمال في المحبّة أو المحبّة الكاملة،
ليست الجامدة، الروتينيّة، بل المتفاعلة دائماً.
ولذلك السماء هي التجدّد الدائم:
" إنّ لم تره عين، ولا سمعت به أذن، ولا خطر على قلب بشر، ما أعدّه الله للذين يحبّونه " (كورنثس
الأولى 2: 9).

ولذلك الاحتبارات "السمعيّة البصريّة القلبيّة ستتجدّد وتنمو دائماً في السماء.
عندما يقول المسيح: " أمّا أنا فقد أتيت لتكون لهم الحياة وتكون لهم أوفر " (يوحنا 10: 10) لا فقط
في هذا العالم ولكن في الأبدية أيضاً هي:
- في طور النموّ الدائم،
- وعدم الروتين والملل، كما يتخيّل البعض.

"مجده الله هو الإنسان الحي" يقول القديس "إيريناوس". يعني أنّ الله هو في الأبدية، والفرح الدائم، والحبّ الشامل يترافق مع كل إنسان في الحياة الأبدية.

- نموّ الجسد يصل إلى حدّ، إلى سقف، ثمّ يبدأ التدهور،
- أمّا نموّ النفس والروح ففي نموّ دائم.

"ولئن كان إنساننا الظاهر ينهدم، فإنساننا الباطن يتجدّد يوماً فيوماً" (كورنثس الثانية 4: 16).

فللقادر أن لا يصنع، بقدرته العاملة فينا،

ما يفوق جدّاً كل ما نسأل أو نتصوّر

المجد في الكنيسة، وفي المسيح يسوع، إلى جميع الأجيال، وهذا المجد في الدنيا والأبدية. وإلى دهر

الدّهور. أمين (أفسس 3: 20-21).

"ثمّ رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة. لأنّ السماء الأولى والأرض الأولى زالتا...

وسمعت صوتاً عظيماً من العرض يقول:

ها هو مسكن الله والناس، يسكن معهم، ويكونون له شعوباً.

الله نفسه معهم، ويكون لهم إلهاً

ليسمح كل دمة تسيل من عيونهم.

لا يبقى موت ولا حزن ولا صراخ ولا وجع

لأنّ الأشياء القديمة زالت.

وقال الجالس على العرش:

ها أنا أجعل كل شيء جديداً" (رؤيا 21: 1-4).

خاتمة

التنمية لاهوت متجسّد

للاهوت وجهان أساسيان:

- وجه يحاول أن يتبيّن وجه الله، الذي لا وجه له، الذي يفوق كل تصوّر وفكر، والذي يجذبنا إليه

كل حين، كما كان يجذب صاحب المزامير القائل: "بك نطق قلبي، إياك التمس وجهي، وجهك يا

ربّ، ألتمس. لا تحجب وجهك عني" (مزمو 26: 8-9).

- ووجه يتوجّه نحو بني البشر، وهم أيضاً تفوق معرفتهم تصوّرنا وإدراكنا. والمطلوب منّا أن

نتبيّن أوجههم المختلفة، لكي نحبّ كل وجه كما يريد صاحبه، وكما يسهم في تنمية شخصيته

ومجتمعه، هنا تُزرع بذور الإنماء الشامل والمتكامل على صعيد الأشخاص والجماعات

والمجتمعات. وتصبح وصية المحبة، التي أعطاناها الربّ، حافزة للإسهام في تنمية هؤلاء

الأشخاص والجماعات والمجتمعات. وندتكر الكلمة الحاسمة التي نكرّها دائماً من رسالة يوحنا

الأولى: "إن قال أحد: إني أحب الله، وهو يبغض أخاه، فهو كاذب. فمن لا يحب أخاه وهو يراه، فلا يستطيع أن يحب الله وهو لا يراه. أجل هذه هي الوصية التي لنا فيه: من أحب الله، فليحب أخاه أيضاً" (يوحنا الأولى 4: 20-21). وجه الله يتجسد في وجه كل إنسان، كما يتجسد في وجه المسيح. قال له فيلبس: "يا رب، أرنا الآب، وحسبنا. قال له يسوع: أنا معكم كل هذا الزمان، ولا تعرفني يا فيلبس؟ من رأي فقد رأى الآب. فكيف تقول أنت: أرنا الآب؟ أفلا تؤمن أنني في الآب، وأن الآب فيّ" (يوحنا 14: 8-10).

لا شك أن التنمية شأن بشري، وأنها تتطلب مفاهيم مجتمعية واقتصادية، بل وسياسية، لا نصوص لها في الإنجيل.

ولكن محبة الله ومحبة الإنسان تحتنا، في عصرنا، على أن نكتشف أفضل الطرائق لهذه المحبة، وهي التنمية مع جميع أبعادها وتقنياتها، لنلا نستحق في أيامنا حكم الربّ عل أبناء الملكوت الجهلة: "إن أبناء هذا العالم أحكم، في ما بينهم، من أبناء النور" (لوقا 16: 8).